# "نوستالجيا" الوطن في قصيدة (غريب على الخليج) لـ: (بدر شاكر السياب)

# *"Nostalgia" to Homeland in the (Strange to Gulf) of (Badr Chaker Esseyab)*

***إحسان جابري**
جامعة العربي التبسي،
(الجزائر)
ihcene.djabri@univ-tebessa.dz

**د.نسيمة زمالي**
جامعة العربي التبسي، مخبر الدراسات الإنسانية و الأدبية
(الجزائر)
nassima.zameli@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام:2022/ 01/21 تاريخ القبول:

**ملخص**

تعدّ "النوستالجيا" من المواضيع الهامة التي نالت حيّزا واسعا في الدراسات الأدبية، وهي مصطلح غربي يقابله لفظ "الحنين" باللغة العربية، ويعد نزعة إنسانية ملازمة للفرد في كل مكان وزمان، ولقد عصف بالشعراء وهزّ قلوبهم، فزادهم شغفا لجوانب تتعلق بحياتهم لأنّ ذكريات الماضي جزء لا يتجزأ منها، فهي محفورة في داخله لذلك يتوق إلى العودة لها، والعيش في زمانها مرّة أخرى.

يهدف هذا البحث إلى تتبع تجليات ظاهرة "النوستالجيا" في قصيدة (غريب على الخليج) لـ: (بدر شاكر السّياب)، وتعبيره عن معاناته ومأساته جراء ابتعاده عن وطنه، بسبب الوضع السياسي القائم في العراق، واسترجاعه لذكريات الماضي وشوق العودة إليها.

**الكلمات المفتاحية:** نوستالجيا، وطن، ذاكرة، قصيدة، بدر شاكر السياب.

**Abstract** :

***Nostalgia is an important and much discussed theme in literary works. It is an occidental loan concept. It is an inherent humanistic tendency for all humans whenever and wherever they may be. It is also present in poems because it evokes souvenirs which are important part of past that all wish to bring back to experience it again.***

***This research is concerned with the analysis of nostalgia aspects in the the "strange to Gulf" poem of Badr Chaker Esseyab, we focus on the linguistic expressions revealing the pain he suffered while he was far from his homeland because of bad political situation, and his wish to recover his souvenirs. The problematic can be thus formulated:***

***How was nostalgia represented in the "strange to Gulf" poem?***

***To what extent the poet succeeded in expressing his emotions towards his homeland? How did the poet influence his readers?***

***KeyWords**: nostalgia ، homeland، memory، poem ، Bader Chaker Esseyab.*

*إحسان جابري

**مقدمة:**

يحتوي الشعر على موضوعات إنسانية متعدّدة وواسعة؛ أهمها مواكبة الشاعر لمجريات واقع وطنه؛ ويلي ذلك الشعور بالإنتماء الذي يعقبه الرضا أو الغربة التي يغذيها الحنين والشوق؛ لأنّ الوطن فكرة غافية توقظها أحاسيس الشعراء المرهفة. وإذا كان الشخص يرتبط شعوريا بالمكان الذي ينبته وتمتدّ جذوره فيه؛ فإنّ وعيه الفطري يتعمق بتوسيع دائرة انتمائه لتشكيل رقعة عريضة تتمثّل فيها خواصه البشرية والطبيعيّة.

لقد أفرز ابتعاد الشاعر عن وطنه تجربة ذاتيّة عميقة، قدّمت صورة لمعاناة نفسية حادة، ورسمت ملامح الحزن والأسى من تقلبات الدهر ونوائب الأيام بفائض من أحاسيس الفقد والحرمان والشوق، و يعد (بدر شاكر السيّاب) من الشعراء المعاصرين الذين غادروا أوطانهم مرغمين ولم يستطيعوا العودة إليها؛ فسبّب هذا الرحيل جراحا تركت ندوبا غائرة على قلبه ومشاعره، و خلقت له آلاما ومعاناة متواصلة مذ ترك أرضه التي نشأ فيها وفارق أهله وأحبته إلى عالم جديد، فقد كبر الإحساس بالضياع في نفسه وتوسع الاغتراب في ذاته، بعد أن اصطدم بمرارة الحياة وقساوة بيئتها الجديدة، وامتحن ضروب الشقاء وهو يترك العراق بسبب الظلم والتعسف وسوء الأحوال السياسية، غير أن قلبه كان دائم التعلق بوطنه ولم يتوقف عن الحلم بالرجوع إليه، فأخذ يخفف عن خواء نفسه باسترجاع ذكريات الماضي، والحنين إلى مراجع الصبا وأيام الطفولة وجلسات الأسرة الدافئة، وغيرها من مظاهر الانتماء الحميمة إلى تراب الوطن وأرضه الغالية، وتسعى هذه الدراسة للاجابة عن الإشكالية التالية:

- كيف تجلت ظاهرة "النوستالجيا" في قصيدة (غريب على الخليج) للسياب؟
- إلى أيّ مدى تمكن (السياب) من التعبير عن عواطفه وخلجات نفسه لوطنه ؟ وكيف استطاع أن يؤثر في قراءه؟

وقبل الخوض في استجلاء مظاهر "النوستالجيا" عند (السياب) في قصيدته: (غريب على الخليج) نعرض إلى تعريفات نظرية أولى نراها ضرورية لولوج عالم المقاربة النصية اللاحقة.

## I. : "النوستالجيا" Nostalgia:

### 1. المفهوم و المصطلح:

"النوستالجيا" كلمة أجنبية مستمدة من اللغة اليونانية، مركبة من الكلمتين: "(ألجوس/Algos) و التي تعني الألم. و (نوستوس/ nostos) تعني الرجوع إلى الوطن. ظهرت أول مرّة على يد الطبيب السويسري جوهنزهوفر (Johannes Hofer) في عيادته الطبية سنة 1688م، أثناء ملاحظته لاضطرابات كان يعاني منها بعض الجنود السويسريين المرتزقة، العاملين لصالح الجيش الفرنسي أو الإيطالي، و لم يجد تفسيرا بيولوجيا لها" (Svetlana , 2001) فكان يعني بها ألم الابتعاد عن الوطن في أول الوضع. كما جاء تعريفها بأنها: "الحنين للوطن، شوق العودة للبلاد والأهل home sic kness، و يشير المصطلح أيضا إلى الشوق للماضي" (لطفي).

أمّا بالعودة إلى الدراسات العربية، فإن مصطلح "النوستالجيا" يقابل: "الحنين إلى الماضي"، الذي يعد انتقالا بالذاكرة وبالذائقة الفنيّة من زمان ومكان راهنين إلى زمان ومكان سالفين، لإحداث مقارنة بينهما، ولتفضيل ماضويّة الماضي. (فاطمة ، 1993) وبهذا فإن "الحنين" هو ميل لانتماء مفقود مرّ عليه الزمن لكن لم تتخلص منه مخيّلة الشخص ووجدانه.

وبهذا يمكن أن نخلص إلى أنّ المفهوم الغربي للنوستالجيا يتماشى مع مفهوم الحنين في الدراسات العربية.

### 1.1.النوستالجيا في علم النفس:

نشأ مصطلح "النوستالجيا" في الوسط طبي أولا كما أشرنا سابقا. و ظلت "النوستالجيا" وفق هذا الاصطلاح "حتى 1850م تعامل باعتبارها اكتئابا ومرضا نفسيا يستوجب العلاج، مرتبطة بالمكان والحنين المؤلم إلى الوطن، ثم تحولت إلى سبيل للعلاج النفسي، لقدرتها على خلق عالم أجمل من الحاضر القبيح باستدعاء لحظات سعيدة مضت تخفف بها من حدّة الواقع و ألمه" (عائشة، 2018) أي إنّها خرجت بعد ذلك من دائرة الطبّ النفسي، لتصبح مصطلحا متداولا في الحياة اليومية تتعلق بالشعور الذي يختلج النفس عندما تحنّ إلى وطنها؛ أثناء استحضارها الذكريات الجميلة العالقة بالأذهان و المفقودة في ذلك الزمن والمكان.

وقد عدّها الأطباء النفسانيون "آلية يستخدمها العقل لرفع المزاج و تحسين الحالة النفسية، لذا فإنّها تكثر في حالات الملل أو الشعور بالوجود... فيقوم العقل باستدعاء ذكريات الماضي الطيبة بدفئها وعواطفها؛ فتعطيه دفقة للتعامل مع التحديات الحالية... فهي مورد نفسي يهبط فيه الناس ليستعيدوا حياتهم و يشعروا بقيمتهم، فهي من السبل الناجحة ضدّ الاكتئاب وقتيّاً" (ابراهيم خزعل، 2017) وكأنها بهذا انتقلت من كونها مرضا نفسيا إلى كونها آلية علاجية لألم الغربة والفقد. فالنوستالجيا لا تقتصر على الزمن فقط بل هي ناجمة عن نزعة نفسية شعورية تدفع الفرد للهروب من لحظات الحزن والكآبة والخوف رغبة في الراحة والاطمئنان الذي لا يتأتى إلا باستذكار لحظات الماضي.

**2.1"النوستالجيا" في الأدب:**

بعد أن شاع مصطلح "النوستالجيا" في المجالات العلمية والاجتماعية، صار يشكل أيضا أحد اهتمامات الساحة الأدبية إبداعا ونقدا؛ وقد ارتبط بظاهرة حنين الأدباء – خاصة المهاجرين منهم – إلى أراضي الوطن وإلى كل الذكريات السابقة سواءً الممتعة أو المؤلمة، فظهرت "النوستالجيا" في الشعر خاصة ثم تداولها الأدباء في كل أشكال الكتابة وأجناسها، ففي " الروايات تجعل الفرد يتذكر لحظات وذكريات قديمة من خلال الأحداث التي يمر بها أبطال الروايات، وقد ساعدت الأفراد على فهم الذات ، وولدت شعورًا بالسعادة والشجن في وقت واحد" (شيماء عز الدين، 2020، صفحة 116) فبها تناقش ذكريات هامة في محطات سابقة من الحياة، أو تستدعى شخصيات تاريخية معينة لخلق صدمة إيجابية أو سلبية.

وقد ذهب بعض الدارسين إلى تحديد "النوستالجيا" في الأدب بوصفها عجزا عن "... مواجهة الظروف والتحديات والبؤس والشقاء، فيلجأ الشاعر إلى الهروب نحو ذكريات ولحظات الأمل والتفاؤل، وكأنها محاولة هروب من الحاضر والعودة إلى الماضي" (ابراهيم خزعل، 2017) فهي نتاج عوامل نفسية خاصة تدفع الأدباء إلى استحضار الماضي لتحقيق الأمن والاستقرار النفسي.

**2. أنواع "النوستالجيا":**

اختلف الدارسون في تحديد أنواع "النوستالجيا" منذ أن وضع المصطلح؛ و ذلك لتشعب مجالات انتمائه كما وضحنا آنفا من جهة ولارتباطه بمشاعر الإنسان وتصوراته حول الواقع المتغير من جهة أخرى، ولكن التصنيف الأكثر شيوعا وتداولا هو التصنيف الذي اقترحه كل من "... (holak havlena هولاك هافلينا) و(matvev ماتفيفا) اللّذين ساهما في إثراء البحوثات المتعلقة بالنوستالجيا بامتياز، حيث قدّما أربعة أنواع لها" (justina, 2013) عدّها الباحثون مصدرا أقاموا عليه بحوثهم المختلفة فيما بعد. ويمكن ترتيب هذه الأنواع كالتالي:(justina, 2013)

**1.2."النوستالجيا" الشخصية Personal Nostalgia:**

وهي مرتبطة بالأشخاص وبذكرياتهم الشخصية، وهي ما تسمى بالنوستالجيا الحقيقية.

**2.2."النوستالجيا" غير الشخصية Interpersonal Nostalgia:**

وتكون متعلقة بالأحداث التي لم يعشها الشخص وحده، ولكنه سمع بها وتأثر بها، ورآها أفضل من الحاضر.

**3.2."النوستالجيا" الثقافية Cultural Nostalgia :**

تتضمن الذكريات المشتركة بين أفراد الجيل الواحد.

**4.2."النوستالجيا" الافتراضية Vertual Nostalgia:**

وفيها يستند على الخيال بدلا من الواقع، وهي عادة مستمدة من كتب الخيال والأساطير القديمة.

من خلال هذا نستنتج أنّ اختلاف تصنيف فئات "النوستالجيا" يعود إلى إدراكات العقل البشري اللامستقرة؛ وهذا ما جعل الدراسات تقترح تصنيفا تحصر فيه "النوستالجيا" في نوعين:

- نوستالجيا خاصة بالشخص.
- نوستالجيا مشتركة بين الجماعات.

## II. : تمظهرات النوستالجيا في قصيدة "غريب على الخليج" لـ: (بدر شاكر السّياب):

يعد "الحنين" من الموضوعات الهامة في الشعر العربي، ويتشكل من خلال إبراز الشاعر شوقه إلى وطنه الذي سلبته منه الغربة عنوة وقسرا، فتركه مجبرا مضطرا هاربا من المستعمر أو من الحروب أو من الظلم والقهر والضياع، أو متطلعا إلى البحث عن الرزق والحياة الكريمة الرغيدة الهادئة، فنجد الشاعر يصور في شعره مشاهد الفراق التي فطرت قلبه وسلبت روحه، ويصف ما يعانيه من أزمات نفسية تسببت فيها غربته؛ لأنّ الأنفس تشتاق "إلى أوطانها... تربتها و بلدانها" (ابو عثمان عمرو، ) حتى وإن غادرتها بإرادتها واختيارها، وتحبذ البقاء في الديار لتفادي الآلام والمآسي التي تلحق صاحبها جرّاء الرحيل.

وقد راح كثير من الشعراء المعاصرين الذين اكتووا بنار الغربة، وأحسّو لوعة الفراق يشكلون جسورا تربطهم بأوطانهم من خلال ذاكرتهم الحية، فاعتمدوا على عاطفتهم الجياشة في نظم شعر غني بأرقى عبارات الشوق والحنين، استرجعوا فيه رؤى و" ملاعب الصبّا، وذكر أيام العهود السعيدة في الديار... وتفضيل البقاء في الوطن مع الشظف على الاغتراب في الغنى والسعة" (عبد العزيز، 1976)، فجاء هذا البوح الفني بليغا قوي التأثير نتيجة الحسّ المرهف والألم المدمي على خسارة ماض عزيز بأحداثه السعيدة أو الكئيبة على حد سواء، وقد انعكس ذلك على ذواتهم الشاعرة فزاد من وطأة الألم عليها، وأرجع الوطن في صورة تتراءى من بعيد مثل جنة ضائعة أو فردوس مفقود.

و يعد (بدر شاكر السيّاب) من الشعراء الذين هاجروا من أوطانهم وأحسوا بلوعة البعد، فعبّر عن شوقه وحنينه إلى العراق، وكتب قصيدة "غريب على الخليج" (بدر شاكر، 2014) بعد أن حط به رحل الهروب في إحدى دول الخليج "الكويت" مشردا صفر اليدين، متحسرا على مغادرة الوطن، فوصف لهيب الحرمان والنأي، واستحضر الأيام السوالف التي قضاها بين أهله و ذويه.

### 1. استرجاع ذكريات الماضي:

عاش (السّياب) أيامه في (الكويت) تحت سيطرة شبح الماضي؛ لقد احترق دمه بنار الغربة، فبكى (العراق) وتذكر أيامه السعيدة التي لم يعرف الراحة بعدها، وتغنى بها تسليه من الهموم التي ألمت به من كل جانب، فهو يحيا حالة من الشفقة في بلد لم يألف ناسه، أسيرا لا حول ولا قوة بيده سوى أن يفرج الله همه فيفسح له طريق العودة إلى وطنه وينهي كربته وغربته، فهو لم يعد يتحمل نظرة الشفقة فيقول: (بدر شاكر، 2014، صفحة 10)

**تَحْتَ الشُّمُوسِ الأَجْنَبِيَّة،**
**مُتَخَافِقَ الأَطْمَارِ أَبْسُطُ بِالسُّؤَالِ يَدًا نَدِيَّه**
**صَفْرَاءَ مِنْ ذُل وَحمَى ذُلِّ شَحَّاذٍ غَرِيب**
**بَيْنَ العُيُونِ الأَجْنَبِيَّة،**
**بَيْنَ احْتِقَارٍ وانْتِهَارٍ وَازْوِرَار... أَو "خَطِيَّه"**
**وَالمَوْتُ أَهْوَنُ مِنْ "خَطِيَّة"،**
**مِنْ ذَلِكَ الإِشْفَاقِ تَعْصِرُهُ العُيُونُ الأَجْنَبِيَّة**

تنقل لنا هذه الأسطر صورة شعرية لروح تعاني من استلاب يومي داخل بلاد الغربة، فقد راح الشاعر يصف نفسه بشحاذ يدفع خطيّة الارتحال عن الوطن، فهو يشعر بالخيبة والذلّ، خاصة وأنه يعتمد في معيشته على نقود الناس (الغرباء)، وقد انعكس ذلك على حالته النفسية وأثر على وضعيته الصحية سلبا، فاختار اللون الأصفر؛ الذي يرمز إلى الموت، و هو هنا الموت الروحي ليصف الحالة التي آل إليها. وكأن الذات المتحدثة تشعر بمفارقة الروح والاحتضار حتى في حالة الحياة؛ في كل لحظة يمد فيها يده للآخرين. (عمر صبحي، 2019، صفحة 223) ، فاعتمد لغة إيحائية رمزية تصويرية عندما يعبر بها عن المعاني البعيدة العميقة لتكثيف دلالة عمق جراح المنفى والبعد عن الوطن، وبشاعة الخيانة والمآمرة والجرائم المرتكبة على أرض الوطن من قبل قادته، فتغدو العراق هي المعادل الموضوعي لوجود الذات، فرغم البعد والغربة، فالصلة لا تنقطع بين الشاعر ووطنه، يغيب الوجود الفعلي والاتصال الواقعي به، ويحل محله وجود داخلي وجداني، فالوطن في الأعماق.

وحتى حين يريد الشاعر أن يخفف من وطأة التشاؤم والحزن التي تنخر قلبه في بلاد الغربة، نجده يستحضر صورة تجواله سابقا في (العراق)، ويستدعي الأيام الجميلة التي عاشها رفقة الأهل والأصدقاء (بدر شاكر، 2014، صفحة 08).

**زَهْرَاء، أَنْتِ... أَتَذْكُرِين؟**
**تُنَوِّرُنَا الوِهَاجُ تَزْحَمُهُ أَكُفُّ المُصْطَلِين؟**
**وحَدِيثُ عَمَّتِي الخَفِيض عَنِ المُلُوكِ الغَابِرِين؟**
**وَوَرَاءَ بَابٍ كَالقَضَاء**
**قَدْ أَوْصَدَتْهُ عَلَى النِّسَاء**
**أَيْدٍ تُطَاعُ بِمَا تَشَاءْ لأَنَّهَا أَيْدِي رِجَال–**
**كَانَ الرِّجَالُ يُعَرْبِدُونَ وَيَسْمَرُونَ بِلَا كِلَال.**
**أَفَتَذْكُرِين؟ أَتَذْكُرِين؟**
**سُعَدَاءُ كُنَّا قَانِعِين**

**بِذَلِكَ القَصَصِ الحَزِين لِأَنَّهُ قَصَصُ النِّسَاء.**

يمثل هذا المقطع موقفا من الذاكرة؛ فيعود بنا الشاعر إلى أيام الماضي، ويخاطب أنثى مجهولة يسميها (زهرة)؛ قد تكون الحبيبة المفقودة (العراق) التي يقف أمامها مصورا عالما وجد فيه السعادة في الماضي الذي لم يكن يخصه وحده، بل يخص كل رجال بلدته، وتعكس هذه التجربة الذاتية/ العامة مقدرة الشاعر الفذة على التعبير عن "النوستالجيا" الجماعية التي يعيشها ويختبرها في ذاته وفي ذكرياته، ف(السّياب )يعاني من فقدان المكان والزمان أيضا، وقد أصبح يشتغل على الذاكرة، للتحرر من عجزه وأزمته الوجودية الحاليّة، فسعى لأن يرسم صورة الإنسان العراقي داخل وطنه المقهور سياسيا والمظلوم اجتماعيا؛ بعد إعلان ثورته على قهر الزمن الذي يربطه بالواقع، سعيا منه إلى اقتفاء الوجه القبيح للحياة، فهو يريد العودة بالعالم إلى براءته الأولى، زمن الطفولة الإنسانية السعيدة، وزمن الوحدة، وحدة الإنسان قبل الصراع والحروب والرحيل عن الوطن الذي صار مرادفًا لهذه الذاكرة وشاهدًا على كل الأحداث .

ولطالما كان لطبيعة بغداد أثر بالغ في شحذ قريحة (السياب) و تحريك بلاغته الشعرية وتفجيرها: (بدر شاكر، 2014، صفحة 09)

**الشَّمْسُ أَجْمَلُ فِي بِلَادِي مِن سِوَاهَا، وَالظَّلَام**
**حَتَّى الظَّلَام – هُنَاكَ أَجْمَل فَهُوَ يَحْتَضِنُ العِرَاق**
**وَحَسْرَتُهَا مَتَى أَنَامْ**
**فَأُحِسُّ أَنَّ عَلَى الوِسَادَةِ**
**مِنْ لَيْلِكِ الصَّيْفِيِّ طَلَا فِيهِ عِطْرُكِ يَا عِرَاق؟**
**بَيْنَ القُرَى المُتَهَيِّبَاتِ خُطَايَ وَالمُدُنَ الغَرِيبَة**
**غَنَّيْتُ تُرْبَتَكِ الحَبِيبَة،**

تغنى الشاعر بجمال الطبيعة في (العراق) وبما فيها من حسن يريح الذهن؛ فالليل بظلامه يحويها، ويبعث فيها الحياة، فنجده يتمنى لحظات ينامها على وسادة مسقية برائحة الوطن الحبيب، وكما أن الشمس واحدة لكنها في عيون (السّياب) عديدة أفضلها شمس (العراق)؛ ذلك أنّه لا يقولها معزولة مستقلة بل يضفي عليها من الذكريات ويطبعها بسمات نفسه كما هو دأب الشعراء الوجدانيين (إيليا، 1983)؛ ذلك أنّ الطبيعة صبت في شعره روحا ونقلت صورة إحساسه الذاتي بغربة قاسية فريدة، وبعذاب أليم في تلك المرحلة الصعبة من حياته، فجمالية الظلام بما فيه من إعتام وجهل تؤدي إلى إنزياح دلالي مهم؛ لأنه يجعل الظلام عنصرا سلبيا ومصدرا للجهل وللتخلف وللتقهقر، وبالتالي فإنّ الصورة توضح تراجع دلالة الضياء والإشراق مقابل ذلك الظلام الذي يرمز للظلم، والمقصود هنا الوضع السياسي القائم في (العراق)، الذي كان السبب الأول للغياب وللرحيل، فالظلام يرمز للظلم و القهر و الغربة،و يمثل المتاعب و المآسي و المعاناة ؛ والظالم يستتير به ليتمكن ؛ لهذا قرنه بالشمس حتى يخفف من وطأته؛ وجمعهما

في ثنائية متلازمة ، لأنّها الوحيدة التي تبيد دجاه وتنير سواده، وهو ما نتج عنه قصدا هذا التغريب في اللغة ، حيث تمثل الجملة الشعرية في هذ النص "تشكلا دلاليا جديدا وانزياحا للغة (الانحراف)؛هو خرق للقواعد وخروج على المألوف أو هو احتيال من المبدع على اللغة النثرية لتكون تعبيرا غير عادي عن عالم عادي، أوهو اللغة التي يبدعها الشاعر ليقول شيئا لا يمكننا قوله بشكل آخر" (الموسى، 1991، صفحة 99)وهو أساس العملية الإبداعية والسبب الرئيس في جذب المتلقي و التأثير عليه.

لقد كان (العراق) بمثابة سلسلة من الذكريات الشخصية والجماعية الغالية، وتستثيرها النفس الشاعرة في دورة أسطوانية لتعزفها الروح مثل مقطوعة موسيقية يسمعها الشاعر في منفاه (بدر شاكر، 2014، صفحة 07).

**بِالأَمْسِ حَيْثُ مَرَرْت بِالمَقْهَى، نَسِيتُكَ يَا عِرَاقْ...**
**وَكُنْتَ دَوْرَةَ أُسْطُوَانَة**
**هِيَ دَوْرَةُ الأَفْلَاكِ مِنْ عُمْرِي، تُكَوِرُ لِي زَمَانَه**
**فِي لَحْظَتَين مِنَ الزَّمَانِ، وَإِنْ تَكُنْ فَقَدْت مَكَانَه.**

إنّ هذا الاستدعاء يلغي حضور الغربة في نفسه، ويطرد شبحها، وهي محاولة منه لكبح ألم ذاته، وحصره في "أسطوانة موسيقية" يستحضرها متى يشاء لكي يتمكن من مواصلة حياته و تأجيج حسه المرهف بوجود وطنه بين تفاصيل غربته، فالأسطوانة ترمز إلى الديمومة في حياة طيبة يبقى خيرها؛ و يتجمد فيها الزمن في أحسن لحظاته؛ وبالتالي تبدو لنا الرموز في هذا المقطع أنّها تتخذ أشكالا عديدة؛ و تشير إلى حقيقة أو تومئ بفلسفة حتى غدا البناء الشعري فيها مجموعة كثيفة من الرموز، تخفي نظرات الشاعر الفلسفية إلى هموم عصره الحضاري المغمور بالصراع بين مختلف الحتميات الكونية و الحضارية.

### 2. تجليات الحسرة و اللوعة على الوطن في قصيدة (السياب):

إنّ الرحيل عن الوطن يغرق الشخص في غربة عميقة، مما يؤثر على إحساسه ويزيده شعورا بالوحشة والألم، فتنفجر في نفسه الغريبة عاطفة الحنين الجارف والشوق الدائم إلى البلد والأهل، فكل ما يقابل المغترب في عالمه الجديد يذكرّه بوطنه البعيد، ولسان حاله يردد: "ما أشقى النازح المغترب وصدره تشتعل فيه نار الحنين... ففي نفس كل شاعر حنين لا ينقطع وشوق لا ينفذ وتطلع دائم نحو أرض الطفولة ومهد الذكريات" (محمد عبد المنعم) التي تزيد من تمزق فؤاده وتشعره بالجذب العاطفي في كل حين.

وتعد قصيدة "غريب على الخليج" قصيدة نوستالجية زاخرة بمواقف معاناة الشاعر في بلد غير بلده، يلتفت حوله فلا يكاد يعرف أحدا فيزداد ضياعا وتيها وهذا حال كل غريب، إذ يقول: (بدر شاكر، 2014، صفحة 09)

**شَوْقٌ يَخُصُ دَمِي إِلَهِي كَأَنّ كُلَّ دَمِي اشْتِهَاء**
**جُوعٌ إليهِ كَجُوعِ كُلِّ دَم الغَرِيقِ إِلَى الهَوَاء**
**شَوقُ الجَنِينِ إِذَا اشْرَأَبَّ مِنَ الظَلَامِ إِلَى الوِلَادَة!**

وهنا يصارع (السياب) غربته بروحه التي تعجّ أسى وحزنا، ويُترجم معاني الوحدة بصدق إنساني جارح، فشوقه كالجوع الذي لا يقاوم، أو كالغريق الذي لا يستطيع العيش دون هواء، فهو الجنين المحبوس داخل رحم أمه وهو يتوق إلى الخروج منه لمفارقة الظلام واحتضان نورالسماء وضيائها، وقد فرضت دلالة الشوق عليه ضرورة الاحتفاظ بدوال تخدم

معناه: الولادة ← تقابل النور. الظلام ← يقابل الموت.

فالثنائيتان الضديتان ترمزان هنا إلى السياسيين المتسلطين الذين سلبوا حقوق شعب العراق، لأن الدال الإستعاري (الجنين) يظهر لنا الدال الأصلي (الغريب) الذي يخفي ذاتا مقهورة، ضعيفة متألمة بسبب الغربة التي أجبرت عليها، وجعلتها متعطشة لحياة هنيئة تبدو بعيدة ومستحيلة.

يصور لنا هذا المقطع صورة استعارية تحمل دلالتي (الحرية/ الاستبداد) لنفس تعيش صراعا داخليا بين القوة -- وفرض السلطة الذي نتج عنه اغتراب عن الوطن- وبين الضعف الذي ولد الشوق إليه. فنجده يصرخ في شدّة حسرته ولوعته على فراق (بغداد) قائلا: (بدر شاكر، 2014، صفحة 09)

**وَحَمَلْتُهَا فَأَنَا المَسِيحُ يَجرُّ فِي المَنْفَى صَلِيبَه**
**فَسَمِعْتُ وَقْعَ خُطَى الجِيَاعِ تَسِيرُ، تُدْمِي مِنْ عُثَارٍ**
**فَتَذُر في عَيْنِي، مِنْكَ وَمِنْ مَنَاسِمِهَا غُبَارٌ.**

لقد شبه الشاعر نفسه الثكلى – بآلام وآمال العودة إلى العراق- بالمسيح الذي يحمل صليبه ويشق طريقه إلى الجلجلة؛ وهذا التشبيه يدل على شدة اليأس والإحباط الذين يعاني منهما الشاعر في الغربة، وعلى الثقل لعدم قدرته على التحمل؛ فهو مهزوم داخليا، فاستعمل (رمز المسيح) قناعا يختفي خلفه ليقول كلَّ شيء دون أن يعتمدَ صوته بشكل مباشر؛ عبر من خلاله عما يلاحقه من عذاب وأذى، غير أنه كان متمسكا بالأمل الكبير الذي ظل يحمله إلى آخر حياته، فهو يجر إلى المشنقة لكنه ينتظر معجزة قيام المسيح بعد موته، ينتظر نهضة (العراق) من جديد، وانبعاثه من رماده، فثنائية (الموت/ الحياة) تجسدت من خلال رمز المسيح لتدل على التضحية من أجل الانتصار على قوى الشر؛ إنّ رمز المسيح هنا لا يعدو أن يكون صفة الشبه بين المشبه والمشبه به في علاقته مع الشاعر، وهي دلالة مباشرة لمعنى المضَّحي والمعذّب الذي يلاقي الرفض والتعذيب رغم رسالتهِ في المحبّة والأصلاح؛ بل إن موضوعيته لا تكتفي بأن تمتد مع الشاعر فقط ، وإنما مع المتلقي ؛ لأنه إرث ديني وتاريخي عام منفتح اللقاء والتعاطف مع الجمهور بشكل واسع، فهو ليس رمزاً لغوياً يحمل معنى دلالي معجمي محدود ، وإنما هو معنى إنساني

متعدد التأويل والتأثير بأفق المتلقي الواسع ، وهذا ما أضافه الرمز الشعري من خاصية جديدة في جعل المتلقي مشاركاً في التجربة الشعرية .

كما نجده في موقع آخر يصف حاله الحائرة على فراق الوطن، وأنّ هذا الأخير خالد في باله مهما ابتعدت المسافات: (بدر شاكر، 2014، صفحة 07)

**صَوْتٌ تَفَجَّر فِي قَرَارَةِ نَفْسِي الثُّكْلَى: عِرَاق،**
**كَالمَدِّ يَصْعَدُ كَالسَّحَابَةِ كَالدُّمُوع إِلَى العُيُون**
**الرِّيحُ تَصْرُخُ بِي: عِرَاق،**
**والمَوْجُ يَعُولُ بِي: عِرَاق، عِرَاق، لَيْسَ سِوَى عِرَاق!**
**البَحْرُ أَوْسَعُ مَا يَكُونُ وَأَنْتَ أَبْعَد مَا تَكُون**
**وَالبَحْرُ دُونَكَ يَا عِرَاق.**

يصور الشاعر في هذا المقطع مكانة (العراق) في نفسه؛ إذ يخالف روح الطبيعة ويشكوها إرهاقه النفسي الذي يعاني فيه التعب والأرق والحنين إلى وطن لا يرى دونه مكانا يتسع له؛ كيف لا وهو مهد الصبا وملعب الذكريات السعيدة؛ فيستدعي رموزا يختزنها في لاوعيه للكشف على معانته، وعما يصبو إليه وما يريد البوح به فعلا، وهذا ما نوضحه في الجدول التالي:

| الصورة الاستعارية | الدال الظاهر | الدال الأصلي | المدلول |
|---|---|---|---|
| صوت تفجر في قرارة نفسي الثكلى | الصوت | القنبلة | الثورة التي يرجوها الشاعر في العراق حتى تتخلص من ظلم الحاكم |

فالريح هو الذي يذكي جذور الصراع، و يحول العلاقة بين الذات والموضوع إلى طور الانفصال؛ فقد غدى ثقلا يتعبه وكل العراقيين، ونذكر أن الرمز هنا عموما انطوى في جوفه على دلالة التغيير الذي لايتم إلا بالحركة أي الثورة؛ والتي لا تنجح بدورها إلا بفعل عملية هدم كلي أو جزئي بشكل من الأشكال، والجدير بالذكر في هذا المقطع ارتباط رموز الثورة برموز الطبيعة الغاضبة ؛ وهذا مايقصده السياب من أجل نقل حال نفسه الثائرة على أحوال الواقع، أمّا البحر فتحول إلى رمز من رموز العذاب الروحي الذي يواجه السياب و كافة شعب بلده؛ وأصبح لونه الأزرق دالا على الفداء و التضحية .

إنّ تكثيف (السياب) استخدام الرموز يأتي تبعا لرغبة منبعثة من لاوعي مخزن في باطنه اشتياقا لوطنه، وفي لحظة انفعال وتحت وطأة المعاناة يخلق صورة في هذا المقطع تنهل منها روحه وهي داخل الصراع وهو في وسطه آملا العودة إلى حياة الهدوء والحرية في (العراق).

وفي محاولة منه لتخليص ذاته من حالة التقوقع تلك، نجده يكرر لفظة (عراق) التي كان لها وقع خاص على نفسيته أولا، ويريد أن ينقل ذلك الوقع إلى نفسية القارئ ثانيا؛ حيث غدت كالتعويذة التي يصدّ بها غوائل حياته الثانية أو زمنه الراهن، فيجمع بين ما فرقته المسافات على صعيد الذكرى والتأمل (عمر صبحي، 2019) وبين ما يملكه الآن من واقع لا يستطيع الركون إليه إلا مجبرا.

وبهذا يمكننا القول إنّ الفراق بالنسبة إلى (السياب) لم يعد مجرد مغادرة رقعة من الأرض، وليس مجرد استذكار موطن الأمومة والولادة فحسب؛ بل لقد أضحى الوطن شخصية حية يشعر بفقدانها كما يفقد الرضيع والدة حنون حرم من حنانها أو كما تفقد أم رضيعها فتحن إليه وتنتظر رؤيته بفارغ الصبر.

### 3. المقاومة: التفاؤل والأمل في العودة:

تعد نزعة التفاؤل بالعودة إلى الوطن قيمة وطنية عليا يشدد فيها الشاعر على حبّ بلاده، ويعد التفاؤل آلية مقاومة نوستالجية يفعلها الشاعر في أشد حالات ضياعه وشوقه إلى تراب الوطن حتى لا تتمكن منه الغربة ولا يهزمه الحرمان، ولهذا فهو يصوغ تلك الأحاسيس برقيق الكلمات ورائق العبارات، فتختلط فيها الأحاسيس المؤفلة بالحب الصادق للوطن، وتتدفق فيها تنهدات العاشق وأنفاس الملهوف الذي يناجي أمل الرجوع.

في قصيدة (السّياب) تتجسد هذه العاطفة بشكل واضح؛ فعلى الرغم من ألم الغربة والابتعاد عن الوطن، وعلى الرغم من ظلام السجن داخل ذكريات الماضي، التي تعد جزءا لا يتجزأ من تكوين إنساني ربطته به عاطفة غريزية أو مكتسبة؛ إلا أنّنا نجده متفائلا بالعودة إلى (العراق)، يتمنى يوم اللقاء ويرسم ملامحه حلما: (بدر شاكر، 2014، صفحة 08)

**أَتُرَاهُ يَأْزَفُ قَبْلَ مَوْتِي، ذَلِكَ اليَومُ السَّعِيد؟**

**سَأُفِيقُ فِي ذَاكَ الصَّبَاحِ، وَفِي السَّمَاْ مِنَ السَّحَاب**
**كَسْرٌ، وَفِي النَّسَمَاتِ بَرْدٌ مُشْبَعٌ بِعُطُورِ آبْ،**

يتسائل السياب عن إمكانية العودة إلى بلاده قبل موعد المنية، ثم سرعان ما يتوق في أعماق الخيال إلى يوم العودة، فيبني صورة شعرية تنبع من شغاف القلب، وتمتزج بعناصر الطبيعة لتروي ذلك الأمل الأخضر بمياه الشوق والحنين؛ فكل من ( السماء/ الصباح/ النسمات/ البرد) تكسو حالة الشاعر النفسية بحلة جديدة . حلة السعادة المتخيلة . التي لا تتحقق فيها العودة إلا حلما.

فوضعنا هذه الرموز أمام لفظة "المطر" التي تعد منطلق الدلالة وهدف العودة، لأن المطر رمز أسطوري يدل على حالة من الحركة والتجوال، كما يوفر توحد جميع العناصر السابقة؛ إذ يقودنا إلى التحول من الظلام إلى الضياء، ومن الاستعمار إلى الحريّة، ومن الغربة إلى العودة للوطن، إنّ هذا المقطع يدلّ على أنّ الشاعر كان يعيش في بلاد مفعمة بالكوارث والحرب الداخلية و التمرد، والتغيرات السياسية ، وعلى الرغم من هذه الظروف الشائعة

والانكسارات؛ لكنه لا يقطع أمله من الغد الذي سيكون أحسن من اليوم وتحسن أوضاعه ويعود إلى وطنه، و بالتالي ظهرت الصورة التفائلية لغد مشرق ينهي المآسي ويحمل في جعبته روح التجديد والتغيير؛ فهو المستقبل الذي سينقل السياب إلى وطنه.

لقد ظلّ أمل الرجوع يداعب فؤاد (السّياب) طيلة زمن غربته المحتومة، ولم يزده الرحيل عن الوطن إلا إصرارا على العودة ليلتقي ثانية بأرضه الحبيبة، مسرح حياته، ومنزل أحبائه وخلانه، ولذلك يؤكد على وفائه بالعهد ويتعجب من الذين ينسون أوطانهم قائلا: (بدر شاكر، 2014، صفحة 09)

**إنِّي لأَعْجَبُ كَيْف..**
**أَيَخُونُ إِنْسَانٌ بِلَادَه؟**
**إِنْ خَانَ مَعْنَى أَنْ يَكُون، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونْ؟**

فهو يستنكر فعل النسيان ويعده خيانة من قبل الأشخاص الذين يعيشون في بلدان غير بلدانهم، فلا شيء يشغل الإنسان عن وطنه؛ لأن التعلق به إحساس غريزي لا ينفصم، حتى و لو عاش في أحسن البقاع، إذ لا بدّ له من حبل يشده إلى منشئه، ولفظ الخيانة في هذه الأسطر يخفي دلالة عميقة وهي خيانة السياسيين للعراق، وتسببهم في تشريد سكانه في زمن الذل والاستسلام والركوع؛ حيث أصبحت الأجساد واهنة والإرادة ضعيفة لذا وقعوا في الحيرة فتحولت حقوقهم إلى تنازلات، والممكن إلى أمنية وربما إلى مستحيل، وتسببوا في إصابة العقل العربي و العراقي خاصة بالجمود والانحطاط.

كما تعد لحظات العودة إلى الوطن عند (السياب) من أسعد اللحظات التي لطالما تمناها وسعى إليها برسم ملامحها في خياله، لكنه يستفيق في آخر القصيدة لنسف ذلك الأمل المنفك عن نفسه المنكسرة التي تعيش طقسا جنائزيا مفعما بالأمل ، وكأنه يستفيق من حلم لذيذ ليجد واقعا عنيدا يصدمه بوجوده القسري، فيصنع بدوره أزمة للمتلقي حين يقول: (بدر شاكر، 2014، صفحة 11)

**واحَسْرَتَاه... فَلَنْ أَعُودَ إِلَى العِرَاق!**
**لتَبْكِيَنَّ يَا عِرَاقْ.**
**فَمَا لَدَيْك سِوَى الدُّمُوعْ.**
**وَسِوَى انتِظَارِك، دُونَ جَدْوَى لِلرِيَاحِ وَ لِلْقُلُوعْ..**

يستفيق (السيّاب) في المقطع الأخير على فاجعة استحالة العودة إلى (العراق)، وبهذا تبقى ذاته متأرجحة بين مرارة الفراق التي اقتلعت جذوره من تربة وطنه، وبين سعادة اللقاء الآفلة التي كانت ستعيد زرعه من جديد، لكن هيهات !، هل كان الشاعر فقط ينتظر العودة إلى أحضان (العراق)، أم أن (العراق) أيضا – كما يقول هنا – كان ينتظر عودة أبنائه المخلصين إلى أحضانه؟ نعم سيظل كلاهما يتنظر دون جدوى، وتلك مأساة الأوطان العتيدة كما يصورها (السياب) بدموع (العراق).

**خاتمة:**

نصل في نهاية تحليل قصيدة (السياب) إلى نتائج نوجزها فيما يلي:

"النوستالجيا" عاطفة إنسانية؛ وجدت مع وجود الإنسان الأول؛ فهي تبين مدى تعلق المرء الشديد بوطنه، وانتمائه له، لذا نجد الشاعر يسترجع الزمن الماضي و يحن إلى مرابع الطفولة والصبا، ويستذكر حب الأسرة والأهل ليس بهدف النفور من الحاضر فحسب، بل تحقيقا لحالة التوازن العاطفي زمن الوحدة.

يعد (بدر شاكر السّياب) أحد أهم الشعراء المعاصرين الذين غادروا أوطانهم مجبرين فزادهم ذلك حبا للوطن وتعلقا به، فكتب شعر الحنين إلى عوالم الماضي، التي شكلت بالنسبة إليه مَلاذا ساعده على الفرار من وطأة الحاضر الموحش، والمستقبل المجهول الذي لم يكن يبشر بالخير.

صوّرت قصيدة "غريب على الخليج" لحظات غربة (السيّاب) عن وطنه (العراق) بشكل مؤثر يبعث في النفس الحزن والكآبة؛ لأنّها عبرّت بكل صدق عن حالة شعورية مؤلمة، وحملت معاني الشوق و الوفاء، و بينت "نوستالجيا" ذاتية وجماعية زادها إحساس الشاعر المرهف وشعره البليغ ألما وحسرة.

كان افتتان (السيّاب) بطبيعة بلاده الخلابة، وتغنيه الدائم بمظاهرها أحد أهم التجليات الفنية لنوستالجيا عميقة حملت تناقضات الذات الإنسانية الشاعرة المتألمة، فصبّ حنينه فيها، وشكى لها آلامه وهمّا، فكانت بمثابة آلية دفاعية تجسد وهم الحاضر الذي يمدّه بصورة مشرقة منيرة، تستبدل إلماحا صورة النّأي القاتمة، وتنسيه ما يعيشه في غربته.

**قائمة المراجع:**

## Bibliography


justina, g. (2013). consumer nostalgia literature review and an altemative measurement perspective. *organizations and markets in emerging economies, 04*(02), p. 116.

Svetlana , b. (2001). *the future of nostalgia*. new yourk: basic book.

ابراهيم خزعل ,خ .(15 10 ,2017) .*مجلة الزمان*.Retrieved from http://www.azzanon.com .

ابو عثمان عمرو , ,ب .(n.d.) .*الحنين الى الاوطان* .(02 ed.)بيروت ,لبنان :دار الرائد العربي.

إيليا ,ح .(1983) .*بدر شاكر السياب شاعر الاناشيد و المراثي* .(03 ed., Vol. 01)بيروت ,لبنان :دار الكتاب البناني.

بدر شاكر ,ا .(2014) .*ديوان أنشودة المطر* .القاهرة ,مصر :مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة.

خليل الموسى. (1991). *الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر*. دمشق: مطبعة الجمهورية.

شيماء عز الدين ,ز ,2020) .يناير/مارس .(فاعلية نوستالجيا الاعلان التلفزيوني"دراسة تطبيقية ."*المجلة العربية لبحوث الاعلام و الانصال*.17 .p ,(38)

عائشة ,ن .(18 08 ,2018) .*ميدان العالم*.Retrieved from https://www.eldjazirra.net .

عبد العزيز ,ع .(1976) .*الادب العربي في الاندلس* .(02 ed.)بيروت ,لبنان :دار النهضة للطباعة و النشر.

عمر صبحي ,م" .(09 09 ,2019) .غريب على الخليج "بين الذات و المكان قرأة في قصيدة بدر شاكر السياب .*مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية*.225 .p ,

فاطمة ,ط .(1993) .*الغربة و الحنين في الشعر الاندلسي* .(.ed 01)المغرب :منشورات كلية الادب.
لطفي ,ا .(n.d.) .*معجم مصطلحات الطب النفسي* .(.ed 01)الكويت :مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
لمياء ,ع .(n.d.) .توضيف النوستالجيا في بناء الرسالة الاعلامية)دراسة على الاعلان التلفزيوني بمصر .(
)آخرون (.Ed ,*مجلة العمارة والفنون*.491 .p ,(10)
محمد عبد المنعم ,خ .(n.d.) .*قصة الادب المهجري* .(.ed 01 ,.Vol 02)مصر ,القاهرة :المطبعة المحمدية.